المؤرخ حمزة علي لقمان.. الفعل المعمّد بروح الانتماء

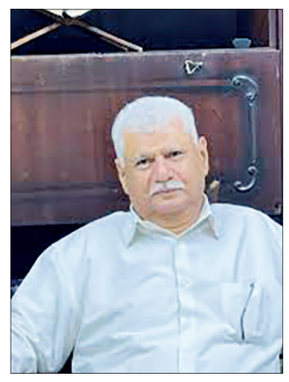

كتب / فهمي غانم

كتابة التاريخ وتسطيره ليس مهمة سهلة وتبدو أكثر صعوبة عند تناول تفاصيل أي ظاهرة تاريخية، فالمحقق التاريخي لايقف أمام ظاهرة عابرة ليتغنّى بها أو يبكيها أو ينسج منها خيالا يستثير العاطفة ويهيج المشاعر..

المحقق الجاد والموضوعي يبحث عما وراء الاكمة ويرسل التساؤلات التي عادة لاتنتهي بإجابة محددة فيترك الآخرين من بعده بمواصلة البحث فالتاريخ سؤال مستمر وفعل حركي حي قد تراه جامداً لكنه في الواقع شكل من اشكال الحياة الخفية التي تبحث عن إجابات دائمة. ويبدو أن الأستاذ حمزة علي لقمان المولود في مدينة عدن عام 1917م هو واحد ممن يُشار له بالبنان في رصد وتحليل وقراءة الأحداث والمدن والتجمعات القبلية وتقديمها بصورة تستدعي الخيال أحياناً لنتمثلها بصرياً وسمعياً وحتى ذوقياً ولهذا لم يخرج عن منهج إثارة الخيال واستفزاز الوعي بكل ملاحظاته وتقييماته إزاء تلك الظواهر والأحداث والمشاهد فهو لم يسجلها عفويا وبشكل ساذج إنما أراد أن يؤطرها منهجياً..

ويتمثل ذلك على سبيل المثال (أساطير من تاريخ اليمن) تجد فيها المتعة والفائدة وفيها يعزز دور الحكاية الشعبية..

و(تاريخ الجزر اليمنية) يعددها بشكل بانورامي تتداخل فيها الجغرافية والتاريخ ويثبت فيها البيئة والهوية المحلية وأنماط الحياة فيها..

فـ(قبائل جنوب اليمن وحضرموت)..وهو الجزء الاول من (تاريخ القبائل اليمنية)..

و(تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية)..

وهنا ذكر المؤلف مقومات النهضة التاريخية الاقتصادية لمدينة عدن وكيف فعلت السواعد السمراء فعلها ورسمت لوحتها في صحراء التيه فنقل قصة هذا الحدث التاريخي ومراحل تطوره الأول المتمثل بإنشاء مصافي عدن وميناء الزيت في عدن الصغرى وإقامة بنية تحتية شاملة أحاطت بهذه المنشأة الحيوية وامتدت تخومها فيما بعد في كل المدينة، فسجلت مرحلة مفصلية من تاريخ عدن الحديث. هذا هو عمق الإجابة لكاتب حي وباحث مجد وقلم رشيق وشخص محترم كالاستاذ الفاضل حمزة لقمان وكما وصفه الأستاذ والإعلامي المبدع فضل النقيب(رأيت فيه عراقة ذلك البيت العدني الشهير الذي كان مرجعية هامة للحركة الوطنية بأسرها)..في إشارة إلى آل لقمان..

فالتاريخ ليس بناء عضوي تسلسلي للأحداث بل هو إطلالة منهجية في كيفية صيرورته على أنساق مختلفة لكنها متوازنة لخلق حالة إنسانية تتعاطى مع هذه المنهجية وتقيم أثرها فيه..

إن إعادة إحياء التاريخ ورسم شخوصه وأحداثه على نحو يعيد لنا المشهد التاريخي بكل تفاعلاته قد تكون هذه مهمة المسرح والدراما بشكل عام، لكن أن نستدرج إلى تذوق التاريخ وطعمه والاقتراب منه بل وتلبّسه والعيش في أجوائه مهمة الباحث الموهوب القادر الذي يحول الظاهرة إلى حالة إبداعية وجمالية وقبل ذلك مادة علمية. ويبدو أن الأستاذ لقمان كان أكثر قدرة على الاقتراب من التاريخ واستعراض أحداثه من منظور إبداعي جميل فهو نقلها اولاً بأمانة العالم المختص وثانياً بطريقة سردية مبدعة متلبساً ثوب الأديب فوضع النقاط على الحروف أمام الباحث وأيضاً القارئ العادي مستخدماً أدواته المعرفية والفنية وحدسه العلمي وثقافته الموسوعية ورشده في التقييم متجرداً من اي عاطفة سوى حبه للمعرفة والثقافة المتخصصة..

في لقاء مع مجلة /فتاة شمسان/ العدنية في العدد 11 الصادر في1نوفمبر1960م وصف وصفاً دقيقاً ارض العقارب وامتدادها الجغرافي وارجع تسميتها إلى(جدهم الاكبر عقارب بن ربيعة بن سعد بن خولان بن الخلاف بن قضاعة بن مالك حمير بن سبأ) وقال إن منطقة العقارب عرفت المصانع في أثناء حكم عمر بن علي الزنجبيلي الذي بنى مدينة (الأخبة) الأسم القديم لبئر احمد وبنى فيها مصنعاً للزجاج..

كما أشار في عدد آخر من نفس المجلة صادر في 1ديسمبر 1960م عن دور الحرة العدنية (بهجة) وهي أم علي بن أبي الغارات حاكم حصن الخضراء وباب البحر فكان لها شأن يُذكر فقد حثّتْ ابنها على المقاومة ضد قائد جيش حصن التعكر وباب البر الشيخ بلال بن جرير إلاّ أنها هُزمت أمامه فأمر بمصادرة كل أموالها وكنوزها ونقلت الحرة بهجة إلى عدن وبنت فيها مسجداً كان يُعرف بمسجد الحرة على مقربة من جامع المنارة..

وفي كتابه (تاريخ القبائل اليمنية) وصف جانباً من منهجه القائم على الوصف السردي المثبت زمنياً ومكانياً وقد أنجز منه الجزء الأول الخاص بالقبائل الجنوبية فقدم تفاصيل الأحداث والاماكن التاريخية والشخصيات المؤثرة والحياة الاجتماعية للقبيلة وأفخاذها وأنسابها وتأثير شيخ القبيلة القوي في ضبط وربط وتماسك القبيلة، وقد عمل بانوراما لبعض قبائل شبوة وأبين وحضرموت ولحج وحتى القبائل المحيطة بعدن كقبائل العقارب وقبائل الصبيحة التي تشكل حزاما يحيط بخاصرة عدن..

وقد ذكر توزعها الجغرافي ولغاتها ولهجاتها المحلية بحيادية ومهنية واحترافية فهو لم يسايرها ولم ينقلها عفوياً بل أخضعها للدراسة والاستقصاء وقد وصف ذلك(إن الكتابة عن القبائل لاتعتمد كثيرا على المراجع المكتوبة بل أيضا على الاتصالات الشخصية والتنقل من مكان إلى آخر)..كما قاده بحثه إلى ذكر المدن اليمنية والموانئ الواقعة على طرق التجارة العالمية أهمها عدن والشحر ومنه وصف لنا طبيعة العادات والتقاليد السياسية والثقافية والاجتماعية التي حكمت تلك الممالك والمدن والقبائل..

لقد سجل في مقدمة كتابه تاريخ القبائل اليمنية..(انّ البنية القبلية في اليمن لم تتمدد على أساس القرابة بل أيضا على أسس سياسية واقتصادية) وقرر (أنَّ القبيلة في ظل غياب الدولة كانت تضطلع بجميع وظائفها)..معنى أنّ القبيلة وحدة إدارية وسكانية وعسكرية تخضع للإشراف المباشر لشيخها..

إننا أمام قامة علمية دخل محراب التاريخ فامتطى فرسه وجعل منه رمزية تستشعر عندها حضور التاريخ أمامك بكل شخوصه، ومن المؤكد أنَّ علمه الواسع وإبداعه المميز خرجا من مشكاة واحد فأصبح المجهول معلوماً بالضرورة..

إن حمزة لقمان ينظر إلى الأثر السياسي والاجتماعي والاقتصادي للقبيلة من زوايا متعددة فالأثر ليس شكلاً جامداً مجرداً بل هو يعبر عن منظومة كاملة من المتواليات الحياتية والاجتماعية وتقاليد وأعراف وأزمان مضت سادت لكنها لم تُبد بل تركت أثرها في تراكمات منتظمة تدل على تفاعلات الحياة المادية والروحية للإنسان وهنا رسم لنا حمزة لقمان استدارة كاملة للحياة على عصر تاريخي مضى أكد فيها قدرته على رسم خطوط الطول والعرض لتلك الآثار والممالك والمدن والحضارات كشواهد تفاعلية وإدراك تأملي لطبيعة هذا الارشيف الحي الذي غطّت مادته أرض اليمن واستطاع أن يؤطرها ضمن حسابات اللحظة الفارقة التي جعلت منه مؤرخاً متميزاً..

وفي كتابه (أساطير من تاريخ اليمن) أشار إلى (أن الأساطير تؤثر تأثيراً فعالاً في حياة الشعوب خصوصا تلك التي لم تدون لكنها تحفظ عن طريق الرواية وبعضها تخيلات)..

وقد قدّم الفقيد المؤرخ حمزة لقمان الموروث الشعبي كتراث يمني بأفق إنساني وعمل على تفكيكه على نحو أظهر فيه قيمه الفلسفية ومبادئه الخلقية وكان حديثه عن النذور بعمقها الدنيوي وخلفيتها الدينية التي تجسد تلك العلاقة الثنائية بين المادي والروحي وقد تجسد مثلاً بتلك اللوحة الرخامية بخط المسند التي وجدت بجنوب الجزيرة العربية يذكر فيها أن (مقدم النذور يهب جسمه وروحه وأولاده وممتلكاته للإله)..

لم يلجأ الباحث التاريخي حمزة لقمان إلى أسلوب الخدع البصرية التي تقود إلى تشويه التاريخ والتشويش عليه. كان همه أن يقدم علماً وليس رأياً شخصياً أو سياسياً أو رؤية مضللة فعندما تتحكم الأيديولوجية وتنفرد بقراءة التاريخ لاتكون القراءة إلاّ مُبْتَسرة أحادية نفعية وضارة..

وبالطبع إن أستاذنا المؤرخ العظيم حمزة لقمان ابن عدن البار تجاوز هذا الإرث المسموم فترك لنا تراثاً قيّما من الكتب والمؤلفات العديدة التي شكلت بمجملها مخرجات لوعي تاريخي سليم وناضج فيها فأضاء لنا حروف التاريخ بكل حرفية وقدرة على استنطاقها وتدوير معانيها وتفكيك الغازها والعيش بين جنباتها بكل أريحية واستمتاع ولذة المحب فكان بحق ذاكرة عدن التاريخية بكل امتداداتها الجغرافية وسياقاتها الإنسانية.

الشاعر بسام الحروري في ديوانه (على مدى شامة من الآن)

كمال محمود علي اليماني

بين يديّ اليوم ديوان شعري للشاعر بسام الحروري، وهو - كما يبدو لي - أول ديوان له ؛ إذ لاتشير سيرة حياته المكتوبة على الغلاف الخارجي الأخير إلى صدور ديوان سابق له، والديوان من إصدارات اتحاد أدباء وكتاب الجنوب للعام 2023، جاء في 116 صفحة من المقاس المتوسط.

ولقد ضم بين جنبيه 27 نصا شعريا تفاوتت في أطوالها، وفي تنويعاتها الشكلية، فهناك القصيدة العمودية، والتفعيلية، والنثرية، وإن كانت الغلبة للقصيدة النثرية، ومع هذا فقد طعّم الشاعر بسام الحروري نصوصه النثرية بأسطر تفعيلية بين الحين والآخر.

وبالمرور على الفهرس نجد عناوين الديوان من حيث مفرداتها، قد ظهرت كما يلي :

8 نصوص من مفردة واحدة، مثلاً: المجند، دهشة، توحد .

7 نصوص من مفردتين، مثلا : صلوات حرورية، خيوط الروح، مسلة وقت.

12 نصاً من مفردات عدة تشكل جملة، مثلاً: ماتيبس من دم وعل، يحدث في مثل هذا القلب، وراقون خلف الجسر.

ولقد جاءت النصوص ذات عنوان المفردة الواحدة قصيرة، وعبارة عن مقطوعات بسيطة غير معقدة، في حين أن النصوص ذات العناوين المتشكلة من مفردات عدة، جاءت ذات جمل طويلة، ونصوصها طويلة، ويكتنفها الغموض غالبا.

ووقعت النصوص ذات عناوين المفردتين بينهما.

ولأن أغلب القصائد نثرية فهي تلزم القارئ بالقراءة المتأنية المتعمقة، فالشعر النثري كما ذكر الشاعر أنسي الحاج، وهو أحد روادهِ ((إنّ قصيدة النثر شعرٌ، وليست نثرًا جميلًا، بل هي قصيدة مكتملة وكائنٌ حي مستقل، مادتها النثر وغايتها الشعر، والنثر المادة التكوينية فيها، لذلك ألحق باسمها كلمة النثر لتبيان منشأها، وسمّيَت قصيدةً للتأكيد على أنّ النثر يمكن أن يكون شعرًا دون التزامه ببحور الشعر والضوابط التقليدية، ولابد من توافر ثلاث شروط في قصيدة النثر، الإيجاز ، والتوهج، والمجانية.))

وعادة لاتنفتح مغاليق النصوص النثرية لقارئها إلا مع تكرار القراءة لها، وهي تتطلب تكرار القراءة لتفصح عن مكنوناتها، وتظهر لقارئها ما تخبئه في طياتها من معانٍ وأفكار ورؤى .

ولسنا بصدد البحث عن تلك المكنونات، فحسبنا أن نتعرف من خلال هذه القراءة / العجالة، وأن نتبين جماليات النصوص البلاغية والنحوية التي عادةً ماتميز الشعر عن النثر.

فلو أننا عرّجنا على الانزياحات الدلالية (الاستعارات، المجاز، الكناية وغيرها) فإننا نجد الكثير منها في ثنايا النصوص، مثلا:

*إلى حفرة غامضة غامضة
*ياهمس المرايا والشجر
*القطار يئن وحيداً
*وشدّي وثاق دمي

وهاكم بعضاً من الانزياحات التركيبية (النحوية، تقديم تأخير، حذف وغيرها)، مثلا:

*وإلى العنق المرمري انزوت
*وارتشف في فنجانه شايا
*حزننا كان بريداً

بل إننا نجده كثيراً مايلجأ إلى توظيف الانزياح المركب(الدلالي / التركيبي)، مثلا:

* المدينة تطرّز دمها
* وتسل من طرفها الأمنيات
*فنجاننا لايزال يرقبنا
*وتغفو على إثرها وردةٌ من نهار

وهي كثيرة كثيرة لايسعني إيرادها كلها.

ومن صور الانزياح التركيبي ؛

ظاهرة التكرار (تكرار الحرف، الفعل، الجملة..)، فلقد تكررت أداة المناداة (يا) في نص (صلوات حرورية) 14 مرة، في رغبة أكيدة لدى الشاعر لتصوير مدى حبه لمدينته حرور، وحميمية العلاقة بينهما، وهكذا تكررت مفردات مثل أيلول في نص (يحدث في مثل هذا القلب) في مقطع قصير من 13 سطراً 6 مرات، ومفردة دندنات في نص (سيرورة الأنثى) 10 مرات، وهو الأمر الذي يجسد الاحساس بالتسلسل والتتابع الشكلي ؛ مما يثير السامع أو القارئ للتوقع، ويحفزه هذا التوقع للاستزادة.

وهناك في ثنايا النصوص تكرارات مختلفة كثيرة.

ولقد أمتعنا الشاعر أيضا بالتناصات التي أوردها في ثنايا نصوصه وكانت دالة على مرجعية ثقافته العربية / الإسلامية، منه قوله:

*وثمة فتيةٌ
يدخلون السوق
من زقاق واحد
على مدى خوذة
فائضة فائضة ً
ولم يدّخلوا من أبواب متفرقين
*الثور الأسود والأبيض والأحمر
كلهم مروا يوم أكلوا
*اهتزت وربت
* إنني آنست قرب النهر
*ياصبي، إن الرهط يأتمرون

ولقد عمد الشاعر إلى إيراد ثلاثة نصوص من نصوصه في صورة مشهدية سينمائية رائعة ؛ تتبدى النصوص من خلال صور متحركة أمامنا، تحكي لنا بجمال حكاية شعرية بديعة، كما فعل في نّص قناع واحد لتفاصل مبتهجة / المجند/ مسلة وقت.

ومع أن الشاعر الحداثي لايهتم كثيرا بقضايا الشعوب والحياة اليومية، إلا أننا وجدنا نصين عن فلسطين، حمل أحدهما اسم فلسطين عنواناً له، وإن كنت عند قراءته قد وجدته - كما تبدّى لي- نصاً من بدايات كتاباته الشعرية، وكم وددت لو أنه لم يضم هذا النص إلى ديوانه بعد أن ترسخت أقدامه في عالم الشعر، وماعاد معبراً عن مستواه الشعري الحالي.

وقد أورد الشاعر في ثنايا نصوصه كثيراً من المفردات التي حملت جناساً لفظياً ومعنوياً، منها:

* الفراسة /الفريسة
*حارسها / فارسها
*الطبابة / الربابة
*أجراس/ أعراس
*قباب الذهب/ ذهب (فعل)
*شجيٌ آسر/ حكايتي (آسر) ... وهو اسم ولده.

وأما إذا تحدثنا عن الصور الجميلة في الديوان فهي كثيرة، وسيطول المقال لو أنني أوردت كثيراً منها؛ لذا سأكتفي بعرض بعضها ؛ برجاء أن يتلمس القارئ جلها أو كلها بعدئذ، ومنه قوله:

*غاب الهلال ولاح
من شجر الدخان مكللاً بالقار
وقال القلب لي قلبي
ولي ياقلب لي دربي
وياارباه لي سؤلي
ولي نجم/ كمين/ جارح
كما...
للشامة العزلاء
رب يجتبيها
أو قوله:
نسيت عند سفوح دمي
بعض شذانا
فضح الطيب هوانا
رفرف الكون يماما حتى
لم يعد في الكون
طفلان سوانا
وأختم بقوله:
خدر من الموت شفيف
انتاب ذاكرتي
والأمهات المؤمنات رمقنني
فلا عرافة تُرجي
ولا وجه يشيخ هناك

بدأ الشاعر بسام الحرور ي خطواته الأولى على درب الشعر بكل ثقة، واستطاع أن يقنع القارئ بشاعريته، وبقدرته الفائقة على أن يبدع الجميل والأجمل.

شكرا لجمال أرواحكم

نص

عطر الأمس

طارق حنبلة

في امتدادات
هذا الليل المثخن بجراحاتي يأخذني الحنين
المبلل بوجعي
إلى صوت أخي
إلى ضحكة أخي
إلى عيني أخي
ابتسامته الموسومة بشوقي ودموعي
كم كان الفراق
مراً وعسيراً
أيها الطفل الشقي
يا لون الفجر الحالم
وأعين الصباح البهي
يا عطر الأمس
ياسمين الغد الابي
أيها المتورد في ملمح القصائد
عنفوان الحرف النقي
أبا بلال .. الجرح النازف في جسد
المدينة العتيقة
ابتسامات البسطاء
قهقهة الأطفال
شجون الازقة والشوارع التي تحنو إليك
بشغف مثلنا تذرف الدمع على خدودها
تبكي بحرقة مثلنا
(تسافر في الدنيا)
آفاق الآمال والأمنية
تندب حظها العاثر
تركض خلف سراب
لقاء يجمعها بك!!
مثلما تفعل قلوبنا
أرواحنا التي تصلي
في معابد الحيرة واليأس
تبتهل في مدارات شوقٍ أحر من الجمر
في عمق ليل مهجور

مرايا الروح

جيهان عثمان

منذ آخر زيارة لها في كوخها الصغير، القريب من الحي الكبير، الجدة الكفيفة مبصرة الروح، كانت تنتظر قدومي إليها كعادتي أسبوعيا، في كل جمعة، أجمع قلبي شوقاً لرؤيتها، وبعض الطعام وكيس الخبز التي اخذها من خباز المدينة، كانت تنتظرني بلهفة الأم الحنون، وتسمع طرقي لبابها بطريقتي ..

كانت تقول لي أنها تشم رائحتي قبل أن اطرق باب غرفتها المتشقق الذي يسمح دائماً لضوء الشمس أن يزور الغرفة المظلمة ويبعث فيها الحياة وصاحبتها، الباب الذي رسمت على واجهته من بعض القطع الخشبية حرف زد بالانجليزية، وقفلها النحاسَي المعلق على المقبض الحديدي للباب، و على (قعادتها الحبال) المرتفعة قليلاً عن الارض، والمصنوعة من سعف النخيل، وفرشها الليفي، تدلي برجليها وتهزهما، وكأنها تهدهد طفلا ..

نزلت من سريرها الجميل لديها و تحسست وجهي ويدي وقبلتني، قبلة ندية كالأطفال، وبفمها الذي فرغ تماماً من جميع أسنانه، نادتني: إيناث (إيناس) أنت جميلة جداً كالقمر، أرى روحك الطيبة النقية.. تبسمت وشكرتها وقلت لها: يا جدة أنتِ القمر ..

جلستَ بجانبها وتحسست مكان المذياع، وحاولت تسليتي بحديث جانبي عن برنامج إذاعي تتابعه ..

نظرت لسقف الغرفة المرتفع مثلث الشكل، رأيت مروحة قديمة صدئة تئن، بنغمات رتيبة، وكأنها تستجدي من حولها تزييت أجنحتها الباهت لونها، ورغم هذا العناء، إلا أنها تبعث بنسمات هواء باردة

. اختلط صوت المذياع بضجيج المروحة، و أصوات موسيقى، وهمسات المذيعة بفقرات برنامجها اتفحص غرفتها كل مرة ازورها، (السحارة) دولاب ملابسها وخزنتها، أشياءها الثمينة لديها..

دائما غرفتها نظيفها مرتبة، لا وجود لأثاث كثيرة ..

استغربت من وجود مرآة دائرية في غرفتها، وما حاجتها لها وهي كفيفة لا تبصر ما حولها، قالت لي: هذا مرآتي أنا قبل أن افقد بصري في الحرب اللعينة، مرآتي أرى بها روحي.